هوامش

في الفترة ما بين السابع من أكتوبر و17 نوفمبر 2023، أسقط جيش الاحتلال الإسرائيلي خلال عدوانه على غزة ما يقرب من 600 قنبلة من طراز Mark 84 تزن 907 كيلوغرامات، ولديها القدرة على إتلاف البنية التحتية للمستشفيات

من قصف الاحتلال على مستشفى شهداء الأقصى في دير البلح، 7 أكتوبر 2024 (أشرف أبو عصرة / فرانس برس)

مستشفيات غزة
الاحتلال تعمّد تدميرها بـ600 قنبلة

محمد الحداد

كشفت دراسة جديدة أنه في الفترة ما بين السابع من أكتوبر/ تشرين الأول و17 نوفمبر/ تشرين الثاني 2023، أسقط جيش الاحتلال الإسرائيلي خلال عدوانه على قطاع غزة ما يقرب من 600 قنبلة شديدة التدمير من طراز Mark 84 تزن 2000 رطل (907 كيلوغرامات)، ولديها القدرة على إتلاف البنية التحتية للمستشفيات، وقتل الفلسطينيين أو التسبب في إصابات خطيرة لهم.

كان معظم القنابل التي رصدها مؤلفو الدراسة التي نشرت يوم التاسع من أكتوبر الحالي في مجلة PLOS Global Public Health على مسافة قريبة جداً من المستشفيات في جميع أنحاء قطاع غزة.

وقنابل M-84 هي ذخائر متفجرة تلقى من الجو وتطلق أكثر من 1000 رطل (453 كيلوغراماً) من الشظايا الفولاذية في جميع الاتجاهات. لهذه القنبلة نصف قطر انفجار قاتل يصل إلى 360 متراً بعيداً عن نقطة الانفجار، ويمكن أن تسبب إصابات خطيرة وتضر بالبنية الأساسية للمباني حتى مسافة 800 متر. تصنع هذه القنابل شركة تصنيع الأسلحة الأميركية General Dynamic and Ordnance Tactical System.

باستخدام البيانات مفتوحة المصدر والمتاحة للعامة من تحقيقات صور الأقمار الصناعية التي أجرتها شبكة CNN، وصحيفة ذا نيويورك تايمز، رسم المؤلفون خريطة لقطاع غزة ممثلة عليها مواقع الحفر التي تشكلت نتيجة لقنابل M-84 التي ألقيت من الجو.

من خلال مطابقة هذه الخريطة مع البيانات المكانية التي حصلوا عليها من مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية، ونظام «خرائط الشارع المفتوحة» (Open Street Map) تمكن الباحثون من قياس المسافات بين حفر القنابل والمستشفيات في قطاع غزة. وأظهر تحليل البيانات أن حفرة قنبلة واحدة على الأقل كانت ضمن مسافة 800 متر من 83% من المستشفيات الـ36 بالقطاع، وكان تسعة من هذه المستشفيات فيها حفر قنابل M-84 ضمن نطاقات قرب خطيرة. «تدعم هذه الدراسة الأدلة التي تشير إلى أن الجيش الإسرائيلي تجاهل حماية المستشفيات، التي يفرضها القانون الإنساني الدولي، من خلال النمط المنهجي لإسقاط قنابل M-84 الضخمة بالقرب من المستشفيات لإحداث أضرار جسيمة وإصابات ووفيات عن عمد»، تقول المؤلفة المشاركة في الدراسة يارا عاصي الأستاذة المساعدة في كلية إدارة الصحة العالمية والمعلوماتية في جامعة سنترال فلوريدا بالولايات المتحدة.

تضيف عاصي في تصريحات لـ«العربي الجديد» أن الفريق البحثي ركز على القنابل التي تزن 2000 رطل بسبب الحفر التي تتركها، فضلاً عن حجم الضرر الذي تلحقه بالمباني في البيئات البشرية المكتظة بالسكان. «وبالتالي فإن الضرر الذي يلحق بالمباني وإصابة أو قتل البشر ضمن النطاق المميت للقنبلة ليس جانبياً (كما يدعي الاحتلال)، بل هو في الواقع تأثير متوقع لهذه القنابل عندما يتم اختيارها بدلاً من الذخائر الأصغر».

تشير الباحثة إلى أن الأضرار التي لحقت بالمستشفيات بسبب هذه الذخائر وغيرها، سيكون لها آثار فورية وطويلة الأمد على صحة الفلسطينيين في قطاع غزة، إذ أدت هذه الهجمات إلى تعطيل العديد من المستشفيات في غزة، ما أدى إلى الحد كثيراً من قدرة المرضى على الوصول إلى الرعاية الصحية، ليس فقط للاحتياجات المتعلقة بالإصابات، بل وأيضا لأي احتياجات صحية أخرى، مثل العدوى، والأمراض المزمنة، والحمل والولادة، وما إلى ذلك. «كما استُخدم العديد من المستشفيات كملاجئ لآلاف الأشخاص، واضطر موظفو المستشفيات إلى التعامل مع المرضى باستمرار في هذه الظروف، والجمع بين خدمات المستشفيات أو الحد منها، أو في بعض الحالات، عدم القدرة على علاج بعض المرضى بالكامل. لقد فرض هذا الدمار أيضاً ضغوطاً هائلة على المرافق التي (كانت) لا تزال تعمل (وقت الانتهاء من الدراسة) خاصة في الشمال، حيث معظم المستشفيات المتخصصة، ومستشفى الشفاء، أكبر مستشفى في القطاع»، توضح عاصي. تلفت الباحثة إلى أنه رغم أن القانون الدولي الإنساني ينص على حماية المستشفيات والعاملين الطبيين، فإنه «ولأكثر من عام، وفي كل حرب سابقة على غزة، رأينا هذه الحماية تنتهك تماماً بسبب الاتهامات الإسرائيلية (لهذه المستشفيات) بالنشاط الإرهابي، والتي لم تؤكَّد في جميع الحالات بأي دليل».

تستنكر عاصي قبول «الجهات الفاعلة الخارجية» الرواية الإسرائيلية بأن هذه المستشفيات تضم «إرهابيين» من دون وجود دليل، رغم مناشدة العديد من الوكالات الإنسانية، مثل منظمة أطباء بلا حدود، ووكالات الأمم المتحدة المتعددة، باستمرار فرض هذه الحماية في غزة، من دون أي تغيير تقريباً في سلوك إسرائيل أو في سلوك حلفائها العالميين، وفي المقام الأول الولايات المتحدة.

باختصار

أظهر تحليل البيانات أن حفرة قنبلة واحدة على الأقل كانت ضمن مسافة 800 متر من 83% من المستشفيات الـ36 بالقطاع

■ ■ ■

الفريق البحثي ركز على القنابل التي تزن 2000 رطل بسبب الحفر التي تتركها، فضلاً عن حجم الضرر الذي تلحقه بالمباني

■ ■ ■

الأضرار التي لحقت بالمستشفيات بسبب هذه الذخائر وغيرها، سيكون لها آثار فورية وطويلة الأمد على صحة الفلسطينيين في قطاع غزة

وأخيراً

في العقل المؤسَّس على ثنائيات قاتلة

رشا عمران

بعض ما كشفه الإجرام الصهيوني على لبنان، واستهدافه قيادات حزب الله وعناصره ومقارّه، وبعض القيادات الفلسطينية، واعتداؤه على الجنوب اللبناني، واستباحة سماء بيروت بلا توقّف، عدم قدرة العقل العربي على الخروج من ثنائيات يمكنها أن تكون قاتلة. أو دعونا نقول إنّها بالفعل قاتلةٌ منذ تكريسها في الوعي الجمعي العالمي إثر أحداث 11 سبتمبر (2001)، حين قسّم جورج بوش (الابن) العالم: معنا وضدّنا. وناسب هذا التقسيم العقلَ العربي ذا البنية التقديسية التي تفصّل الوجود على مقاس المُقدَّس، فلا يوجد شيء خارج المُقدَّس ونقيضه، وكلّ من يرى في منظارٍ آخرَ مصيره التكفير الديني والمجتمعي والسياسي. فإذا كان جورج بوش البراغماتي قد قسّم العالم مع وضدّ لتعزيز السياسة الأميركية وتحالفاتها، فإنّ العقل الجمعي العربي يفعل هذا (عن وعي أو عن جهل) لخدمة الاستبداد والطغيان بأشكاله كلّها. بات من النوافل القول إنّ القتال إلى جانب بشّار الأسد لحماية نظامه من السقوط بعد 2011، كان بمثابة الانتحار لحزب الله جماهيرياً وسياسياً، وأمنياً (كما اتضح أخيراً). ومن نافل القول أيضاً إنّ علاقة السوريين بحزب الله لم تكن عاديةً قبل 2011، بل كانت علاقةَ تقديس بكلّ معنى الكلمة؛ فالسوريون الذين تربّوا على الإيمان بالفكر العقائدي الذي يرى أنّ المقاومة هي السبيل الوحيد لتحرير فلسطين، وجدوا في حسن نصر الله الزعيم المطابق لفكرتهم عن الزعامة، كاريزما قويةً مع خطاب ديني كان في بداياته متوازناً، ويتناسب مع الوسطية الدينية التي يعتمدها السوريون، مع إنجاز تحرير الجنوب من العدوّ، وتحقيق معادلة توازن الرعب معه لاحقاً. لم يكن أحد يتجرّأ وقتها على التعرّض علناً لحزب الله ولو بنقد بسيط، كان ذلك سوف يعرّضه مجتمعياً للاتهام بالعمالة. لكن هذا كلّه سقط مع أول طلقة أطلقت من بندقية حزب الله تجاه السوريين، حتّى وصلنا إلى الشماتة والتهليل بمقتل نصر الله وقيادات في الحزب بيد إسرائيل. هذا ليس طبيعياً حتماً، لكن أيضاً لم يكن طبيعياً الطلب من السوريين نسيان ما حدث لهم، والتعامل مع مصير الحزب كما لو أنّه لم يكن أحدَ أسباب الوضع السوري الحالي. وهنا تجلّى العقل الثنائي بكل وضوح: كان الفرح بمقتل قيادات الحزب مبالغاً فيه إلى درجة أنّ أصحابه اعتبروا كلّ من طالب بالتريّث ورؤية الحدث من كلّ أبعاده، متواطئًا مع النظام السوري وحلفائه في قتل السوريين؛ وفي المقابل فإنّ فئة أخرى وجدت في المطالبين بالتريّث والمتحدّثين عن جرائم حزب الله في سورية، وضرورة فصل ذلك عن دوره المقاوم، عملاءَ متخفّين للعدو ومتصهينين جددا هدفهم حرف النضال ضدّ العدو عن مساره. نحن إذا أمام خطابَين متناقضَين كلاهما مرتفع النبرة، وكلاهما يعتمد خطاب التخوين، وكلاهما لا يتوقّف أو يهدأ ثانيةً واحدةً ليتأمل داخله ويرى إن كانت مشاعره تحمل القليل من التناقض والتشويش أو كثيره، والقليل من المرونة في الالتفات لرؤية الحدث ضمن سياقات سياسية واقتصادية متعدّدة تركت ختمها على جسد العقد الماضي في سورية ولبنان معاً.

> لم يكن طبيعياً الطلب من السوريين التعامل مع مصير حزب الله كما لو أنّه لم يكن أحد أسباب الوضع السوري الحالي

لا يختلف الحال مع اللبنانيين، خصوصاً مُوالي حزب الله، فهم يطلقون سهم التخوين والتحريض على القتل ضدّ كلّ صوت لبناني يخالف خطابهم الموحّد والوحيد، رغم كل ما يحصل اليوم للحزب وللمقاومة وللبنانيين جميعاً؛ مُجرَّد تصفّح سريع لصفحات بعض هؤلاء في مواقع التواصل الاجتماعي، ومنهم مثقّفون وكتّاب وشعراء، يكفي ليدل على مقدار التبسيط والاستسهال الذي يتناولون به قضيةً في غاية الخطورة والتعقيد والنتائج كقضية استهداف ما يتعلّق بحزب الله كلّه من العدو.

فات هؤلاء المتمترسين خلف ثنائياتهم القاتلة أنّ حدثاً كهذا لا يمكن التعامل معه بمعزل عن تناقضات الهُويَّة واضطرابها في مجتمعاتنا العربية، وأنّ حالات العقل يمكن تحليلها من خلال سلوك متراكم ومن خلال المؤثّرات المحيطة، كما أنّ للعقل حالاته الداخلية وتفاعلاته المثيرة التي تختلف وتتفق في الوقت ذاته، وهي الحركة التي تسبب تناقضها وتظهره للعلن؛ أمّا اليقين الذي يُظهره هؤلاء في التعامل مع الاعتداء الإسرائيلي ونتائجه، والقطعية في فهم الحدث، وفي التخوين والقتل المعنوي للمختلف، فهي ليست سوى تعبير موارب عن الشعور الدفين بهزيمة يرفضون الاعتراف بها في وعيهم الآني.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**